

التنوع والتوزيع الاثني في العراق وأثره على تماسك المجتمع

diversity in Iraq and its impact on community cohesion\

Distribution and ethnic

Ins. khalaf O. Abdullah

University of Diyala

College of Basic Education

Zahratalrabia86@gmail.com

د. خلف عمر عبدالله

جامعة ديالى

كلية التربية الاساسية

الكلمة المفتاح (توزيع, اثني, العراق, المجتمع)

الملخص:

جاء هذا البحث جواباً لتساؤلات عدة اثيرت حول واقع الاثنيات في العراق والكثير من دول العالم القديم والحديث، وتبين ان العراق يمتاز عن غيره من الأقطار العربية وبعض بلدان العالم بالأقوام والقوميات والطوائف الدينية والمذهبية وكثرة الأقليات فيه وتنوعها، وفي العراق يظهر التحام وترابط العناصر التاريخية والجغرافية بصورة جلية ففي الشمال " في بقعة صغيرة لا تتجاوز مساحتها بضعة آلاف من الأميال المربعة جمع الله مزيجاً من الأجناس والطوائف قد لا تجد مثيلاً له في أي بقعة أخرى من بقاع الأرض ، فإذا قمت بجولة في السهول والجبال بمحافظة الموصل مررت بأقليات عديدة من الأجناس والطوائف القديمة غرسها التاريخ في تلك المنطقة وكأنها تحجرت على مر الأيام فغدت أثراً طريفاً للعوامل القومية والاجتماعية والدينية التي تمخض بها الشرق الأوسط من أقدم الأزمان ، وقلما أن تلتقي في هذه الفسيفساء من الأجناس قومين ينتميان إلى جنس واحد أو تتكلمان لغة واحدة أو يعبدان إلهاً واحداً ، ففيها من الأجناس العرب والكرد والتركمان والاثوريين والأرمن والهنود والفرس الخ. ومن الأديان الطوائف فرق عديدة متباينة، منها اليعاقبة والنساطرة القديمتان ، ومنها الملة الإسلامية، والصابئة واليزيدية واليهود.

تقديم:

شهدت المسيرة الانسانية عبرة عصورها المتعاقبة اكثر من وقفة في محطات مهمة، كانت بمثابة فواصل بين حقب متعددة تتصف كلمنها بخصائص تميزها عما سبقها وما تلاها من حقب.

مما يجعل لكل منها ملامحها وسماتها الخاصة، ويظهر هذا التفاوت جليا، وبشكل خاص في الامتدادات الزمنية. فقد كان القرن الخامس عشر الميلادي عصر النهضة مسرحا لثورة فكرية وفلسفية، وفي القرن السادس عشر قرن الاكتشافات الكبيرة حيث دخلت البشرية في حقبة مؤثرة كان طابعها تقريب المسافات وتلاقي الثقافات وتمازج الحضارات، وفي القرن التاسع عشر بدأت الثورة الصناعية. حيث انتقلت البشرية من عصر النشاط الزراعي الريفي الاقطاعي الى حالة المجتمع المدني الصناعي.

اما القرن العشرين، فقد كان شاهدا على تواصل عصر ازدهار الاكتشافات العلمية كما ونوعا، وفيه تحققت نقلات نوعية في طبيعة المجتمع الانساني في حقول العلم والثقافة وانتصار الثورات المعرفية الهائلة، وفي العقد الاخير من القرن العشرين دخلت البشرية طورا جديدا اطلقت عليه (طور العولمة). فالمجتمعات في وقتنا المعاصر تتعرض لتأثيرات واسعة في عدة مجالات متداخلة عديدة فمنها سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وعلى الرغم من كل هذا رجعت الدول الاستعمارية الى طورها القديم لتفتيت الشعوب والعيش على دمائها.

لذا جاء هذا البحث جواباً لتساؤلات عدة اثيرت حول واقع الاثنيات في العراق والكثير من دول العالم القديم والحديث، وتبين ان العراق يمتاز عن غيره من الأقطار العربية وبعض بلدان العالم بالأقوام والقوميات والطوائف الدينية والمذهبية وكثرة الأقليات فيه وتنوعها، وفي العراق يظهر التحام وترابط العناصر التاريخية والجغرافية بصورة جلية ففي الشمال " في بقعة صغيرة لا تتجاوز مساحتها بضعة آلاف من الأميال المربعة جمع الله مزيجا من الأجناس والطوائف قد لا تجد مثيلا له في أي بقعة أخرى من بقاع الأرض ، فإذا قمت بجولة في السهول والجبال بمحافظة الموصل مررت بأقليات عديدة من الأجناس والطوائف القديمة غرسها التاريخ في تلك المنطقة وكأنها تحجرت على مر الأيام فغدت أثرا طريفا للعوامل القومية والاجتماعية والدينية التي تمخض بها الشرق الأوسط من أقدم الأزمان ، وقلما أن تلتقي في هذه الفسيفساء من الأجناس قومين ينتميان إلى جنس واحد أو تتكلمان لغة واحدة أو

يعبدان إليها واحدا ، ففيها من الأجناس العرب والكرد والتركماني والاثوريين والأرمني والهنود والفرس الخ. ومن الأديان الطوائف فرق عديدة متباينة : منها اليعاقبة والنساطرة القديمتان ، ومنها الملة الإسلامية، والصابئة واليزيدية واليهود.

1-مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كون منطقة البحث تحتوي على العديد من المشاكل والازمات التي تواجه المنطقة من الازمات الخارجية والداخلية، والتطورات المحسوبة والغير محسوبة، والعالم في هذا الوقت يسير نحو الانفتاح جراء عملية العولمة. مما يجعل من العراق والوطن العربي بشكل خاص، والعالم بشكل عام يواجهون العديد من التحديات ازاء هذه الظواهر التي تعصف بالعالم. لذا تثار العديد من التساؤلات:-

أ- ما هي المجتمعات التي عاشت وتعيش في الوقت الحاضر في العراق؟

ب- هل إن هذا التنوع سيؤدي الى وحدة وقوة العراق؟ ام إنها تفرقه وتضعفه؟

ج- ماهي اهم التحديات التي تواجه العراق؟

د- ماهي السبل لتفادي وحل المشكلات العائقة بين الاثنيات والطوائف في العراق؟

2- فرضية البحث:

أ- تتنوع المجتمعات التي عاشت وتعيش حاليا في العراق وكانت على وئام وتفاهم تام منذ زمن بعيد.

ب-ينطلق هذا البحث من فرضية اساسية إن العراق من جراء الاحتلال وجدت كل هذه المشاكل وستزيد سواء كانت سياسية او اقتصادية او ادارية او اجتماعية، ومن خلال هذا البحث سنحاول اثبات صحة هذه الفرضية من عدمها.

وكذلك تصويب هذه الفرضية نحو الاهداف الصحيحة، والافضل في تطوير العراق وبشكل احسن.

3- منهج البحث:

استخدام المنهج الوصفي وذلك بالاعتماد على الكتب والدوريات والخرائط التي تناولت منطقة الدراسة، ويعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي وذلك لعرض تسلسل الاحداث، وكذلك يعتمد على المنهج التحليلي، وذلك لأهمية هذه الظواهر مما

استوجب التدقيق فيها بإمعان للوصول الى الحقيقة التي تضعها في المنظار الذي ينقياها من بعض التعقيد، وايضاح لحيثيات هذه الظاهرة واساليبها وادواتها.

4-أهمية البحث:

نظرا لما تمثله هذه الظاهرة (التنوع والتوزيع الاثني وأثره على تماسك المجتمع) من آثار بالغة الخطورة على العراق بشكل خاص، والوطن العربي والعالم الثالث بشكل عام. فهذا البحث يوضح اهم التحديات للعراق، حيث توضع هذه الظاهرة على المحك لإيجاد أهم وانجع الأسباب للتعامل معها.

5-حدود البحث:

العراق وموقعه الجغرافي في المشرق العربي (البوابة الشرقية) للوطن العربي، والذي يحده من الشمال تركيا ومن الجنوب السعودية والخليج العربي ومن الشرق ايران ومن الغرب سوريا والاردين. اما الموقع الفلكي فيمتد بين دائرتي عرض (29,50 - 37,22) شمالا، وخطي طول (38,45 - 48,45) شرقا. فهذا يركز على اهم التأثيرات التي يلقي بها على العراق بشكل خاص وعلى الوطن العربي والعالم الثالث بصفة عامة. اما بالنسبة للزمان يركز هذا البحث على تتبع مراحل التنوع والتوزيع الاثني منذ نشوء حتى الوقت الراهن واهم الاحداث التاريخية التي مرت بالمجتمع. ويقسم البحث إلى ثلاثة مباحث، يضم المبحث الأول: حضارة ما بين النهرين، والأقوام التي عاشت في العراق قبل الاسلام، والمبحث الثاني: القوميات التي عاشت في العراق بعد الاسلام، والمبحث الثالث: الديانات المنتشرة على ارض العراق.

المبحث الأول: حضارة ما بين النهرين، والأقوام التي عاشت في العراق قبل الاسلام

1- السومريون والاكديون : من عام (4500 ق.م - 2300 ق.م)

سكن الشعب السومري القسم الأسفل من ارض شنعار فدعيت الأرض (الإقليم) التي سكنوها بأرض (سومر) ولهم دور عظيم في مجال التطور والبناء، كما قاموا بتشييد مدنهم الكبرى في الإقليم الجنوبي للعراق - كاور، وارك، وار يدو، ولجاش وغيرها. وكذلك حفروا الترع وأقاموا السدود الزراعية - وكانت القبائل السامية المترحلة تقطن البلاد المعروفة (باكدي) الواقعة في الإقليم الشلمي للبلاد وبنو مدنا كبيرة فيها مثل : بورسييا ، وكيش ، ونفر ، وإجادة

..... وغيرها وأصبح يتجاور في سهل شنعار شعبان متنافران ، وكان الطبيعي أن تشتد الخصومة بينهما على النفوذ لذلك كانا في قتال مستمر . حيث ظهر في أكد زعيم يدعى " سرجون " ابتسم له الدهر فشن عدة غارات على السومريين حتى قضى على سلطانهم ونفوذهم وجعل سهل شنعار برمته تحت سلطانه ، واتسع نفوذه وامتد إلى إقليم البحر المتوسط ومنها إلى أسيا الصغرى . وبعد هذا التوسع ضعفت قواهم ، فاستغل السومريون هذا الضعف فيهم ، وسيطروا على كل البلاد ، فما كان من الاكديين إلا أن خضعوا لأمر الواقع ، ورأوا من حسن السياسة أن يوحد الشعبين - الاكدي والسومري وهم من عرق واحد تحت سلطان واحد ، وهكذا تأسست مملكة (اكديومر) العظيمة ، وامتزجت في سهول بابل حياة السومريين الجبليين بحياة ساميي البادية امتزاجا سياسيا.

2-العيلاميون والعموريون : من عام (2300 ق.م - 1800 ق.م)

كان العيلاميون في بدء أمرهم يسكنون جبال خوزستان وينظرون إلى جارتهم " مملكة أكد " بعين الحسد والطمع في آن واحد ، فلما انسوا في نفوسهم القدرة على الغزو حملوا عليها بشدة واستولوا عليها ودخلوا عاصمتها " أور " ثم استولوا على الباقي قسم بعد قسم وبينما كانت هذه الحوادث تجري في القسم الجنوبي من ارض شنعار ، كانت تجري في قسمها

الشمالي حوادث أخرى ، فان العموريين أيضا من أصل سامي " احد القبائل السامية " التي كانت جوار البحر المتوسط منذ أقدم العهود أخذت تنزل إلى سهول الفرات العليا حتى بلغت " بابل " وكانت يومئذ صغيره جدا ، ثم أخذت تتادي من جاورها من مملكة " أكد سومر " حتى استولت على ملكهم ، وأسست مملكة عظيمة دعية " بالمملكة البابلية " .

3- البابليون : من عام (1800 ق.م - 1300 ق.م)

تميزت مملكتهم بالمجد والرقى من زمن اعتلاء أريكة الحكم البابلي حمورابي والذي دام حكمه " 43 " عاما سادس ملوك الدولة البابلية ، وكان أعظم ملك عرفه تاريخ تلك الحقب . فهو الذي وحد الشرائع ونظمها ، وهذب القوانين وشرعها ، وشيد المعابد وأسس المدارس ، وحفر الأنهر وشق الترغ ، حتى مجيء الحيثيون و هم ليس من أصول سامية بل هم هاجروا في آخر عهد من بلاد الأناضول فسلكوا وادي الفرات و استولوا على بابل ، ثم انسحبوا إلى المكان الذي أتوا منه ، وكان بينهم قوم من الارميين من أصل الكيشيين هاجروا إلى العراق

من الشمال الشرقي وقاموا في أول أمرهم بأعمال حقيرة حتى إذا ما اندمجوا بأهل العراق وقبلوا حضارتهم، وتطبعوا بطباعهم وعاداتهم ، وقوي أمرهم ، قلبوا ظهرهم وأسسوا لهم دولة في الموقع المسمى عقرقوف - أثارهم الآن شمال غرب بغداد بشيء بسيط لكن سرعان ما انتهت دولتهم لعدم تقبل الناس لهم ولأعمالهم المشينة وأتوا الآشوريين .

4- الآشوريون: (1300 ق.م - 606 ق.م)

قوم ساميون " أصول سامية " نزلوا شمال العراق عام (3000 ق.م) ومع نزول الأكديين بأرض شنعار وكانوا على اتصال بالسومريين ، فلما حكم ملوك في بابل أشداء مثل : سيرجون وحمو رابي دخلوا تحت حكمهم وتدريبوا على القتال في صفوفهم . فلما انطوى بساط هؤلاء الملوك، كان قد اشتد ساعد الآشوريين فأغاروا على الحيثيين وبسطوا نفوذهم على قسم من بلادهم ، وفي الوقت نفسه هجموا على " بابل " واستولوا عليها بحجة الاحتفاظ بحدود بلادهم ، حتى كانت تخفق أعلامهم فوق ربوع سوريا ومعظم البلاد الفينيقية الواقعة على ساحل البحر المتوسط ، فتوسعت حدود مملكتهم حتى صارت تنتهي ببلاد أرمينيا شمالا والخليج العربي جنوبا ، وضاف البحر غربا ، وبلاد ماذي شرقا ، فاخذ الضعف يتسرب إلى المملكة بالتدريج فقلت بسبب ذلك الأيدي العاملة ، وانحطت التجارة والزراعة ، وكسدة الأسواق وتداعت دعائم العلم والتهذيب إلى أن انتهت المملكة على يد الكلدانيين .

5- الكلدانيون : (606 ق.م - 539 ق.م)

في الوقت الذي كانت المملكة الآشورية تتمخض بالاضطرابات الداخلية وتلفظ أنفاسها الأخيرة ، وكانت قبيلة " كلدو " إحدى القبائل العربية الرحالة من أصول "سامية" تزحف ببطء نحو سواحل الخليج العربي ، فلما رأت ان القوات الآشورية تكاد تتلاشى، زحفت نحو سهل بابل وتوطنت فيه وعمرته " بابل " إذ كان آخر ملوك بابل قد هدمها وأجرى المياه عليها، وأعدت رونقها وعظمتها واتخذتها قاعدة لبسط نفوذها، وهكذا انقرضت الإمبراطورية الآشورية، وبدا نجم الدولة الكلدانية يتألق في سماء العراق.

والكلدانيون آخر من سكن " بابل " من الأصول السامية واتخذها عاصمة لهم وأسسوا " دولة بابل الجديدة " وقد قام فيهم ملوك عظام أبرزهم (نبوخذنصر) الذي حكم زهاء أربعين عاما ، وأنزل عقابه الصارم بالدولة المصرية التي أرادت ان تشق عليه عصا الطاعة ،

وأجلى اليهود ويطش بهم لنقضهم العهود ، وفي أيامه قسم البابليون النهار إلى (24 ساعة ،
والساعة إلى 60 دقيقة ، والدقيقة إلى 60 ثانية ... الخ) كما اكتشفوا السنة الشمسية والسنة
القمرية، والخسوف والكسوف وسائر الظواهر السماوية. ولما بدئت الأحزاب ولا سيما حزب
الكهنة - تتدخل في شؤون المملكة حدث الانقسام العظيم في صفوفها ، وأخذت الأغراض
الشخصية تتخر في عظمها فما كان من الماذيين ألا ان انقضوا عليها وجعلوها خبرا من
الأخبار. (1)



شعار الساميين العرب في العراق

الشعار السامي لوادي الرافدين، دجلة والفرات، وهو يتألف من كأس سماها
الباحثون " الكأس الفوارة " ينبع منها مجريان رئيسيان يتكون كل منهما من ثلاثة

فروع يعتقد إنهما تمثل الروافد الرئيسية التي تتصب في كل من نهري دجلة والفرات. والشعار السامي الأصل من ابتداع الساميين الذين نزحوا من جزيرة العرب إلى وادي الرافدين ، وذلك لارتباط حياتهم المعاشية بنهري دجلة والفرات وروافدهما ، وهم أول من عرف الروافد التي تتصب بدجلة والفرات لاستقرارهم على ضفتيهما ، فاستوحوا شعارهم من البيئة التي كانوا يعيشونها . وكان طبيعيا أن يقدر الساميون الذين دفعتهم الصحراء إلى ضفاف نهري دجلة والفرات أهمية الماء في حياتهم أكثر من مجاورتهم السومريين في منطقة الاهوار الذين أحاطت بهم المياه من كل صوب. ونلاحظ أن الساميين والسومريين كانوا يتصورون إن دجلة والفرات ينبعان من منبع واحد وقد صوروه كذلك.(2)

6- الماديون والفرس : (539 ق . م - 331 ق . م)

الماديون من الشعب الآري " أصول آرية " الذي سكن البلاد المسماة اليوم أذربيجان وقد ساهموا مع الكلدانيين في اقتسام مملكة آشور ، فكانت صلاتهم مع شركائهم حسنة ، وكانت بلاد فارس خاضعة لهم ، وتربطهم بالفرس لحمة النسب ، وكان الفرس طموحين واضعي نصب أعينهم التخلص من سيطرت الماديين - فناروا عليهم واحتلوا ملكهم وجعل الشعبين : المادي والفرسي يستظلان تحت راية واحدة ، وأعلنوا الفرس دولتهم التي سموها " دولة الكيانين " الشهيرة في التاريخ . وقد أخافت دولة الكيانين الدول القريبة منها والبعيدة عنها على حد سواء، فاتحدت ضدها كل من : - ليديا - وإسبارطة - والكلدان - ومصر حتى استضعفها ، ولكن الدهر ابتسم لدولة الكيانين ، فحملت على اليدين واكتسحت دولتهم ، وتوسعت في آسيا الغربية ، فضمت إليها المستعمرة الإغريقية القائمة على شاطئ آسيا الصغرى ثم تحولت الانضار نحو الكلدانيين ، وثم القضاء عليهم - لكن قتل ملك دولة الكيانين كورش الفارسي قبل ان يتمكن من مصر ، فخلفه ابنه قمبيز ، فتمكن من مصر وضمها إلى دولته ، فسار سيرة من سبقه في التوسع والسيطرة .

7- اليونانيون: (331 ق.م - 247 ق.م)

كانت البلاد اليونانية ممالك متفرقة لكل منها ملكها وحكومتها وحضارتها ، فاعتزم فليب ملك مقدونيا ووالد لاسكندر الشهير - أن يوحدتها ويجعلها كتلة واحدة يهابها البعيد ويخشها القريب ، فأستولى على هذه الممالك الواحدة تلو الأخرى . حتى اغتالته إحدى العصابات ، فخلفه ابنه لاسكندر الكبير، وكانت خطته ترمي إلى فتح جزيرة العرب كلها والى جعل العالم

تحت زعامة واحدة ، فدخل آسيا الغربية بعد ان حررها من نير الفرس واخذ يطاردهم حيثما توجهوا ، ثم سار لاسكندر قاصدا "بابل" فدخلها بين هتاف الشعب ومزاميره، وطارد الجيش الفارسي المنكسر حتى وجد قائده (دارا) قد قتل بجوار " بلخ " وبمقتله ، انقرضت تلك الدولة الفارسية ، فورثتها الدولة اليونانية ، ووضعت يدها على كل ما كانت تملكه من البلاد والممالك المفتوحة ومن ضمنها العراق. ومات لاسكندر وهو في الثالثة والثلاثين من عمره والثالثة عشر من حكمه ، ولو فسح له الأجل عشر سنوات أخرى . لتمكن من بلوغ حلمه الذي كان يريد إحداثه في العالم، ولمزج بين المدينتين الشرقية والغربية وكون منها عالما جديدا.

فعمرت في زمنه المدن والممالك المفتوحة وأنشأت لها عاصمة على الضفة اليمنى من دجلة في موقع يبعد (30 كم) جنوب بغداد واسمها " سلوقية " فأضحت هذه العاصمة تضاهي " بابل " بالثروة والعمران والنفوذ ، وبينما كانت هذه الدولة تحاول تحقيق أهداف لاسكندر الكبير ، عاجلها القدر فقرضها الفرثيون بعد أن كانت سيده عليهم .

8- الفرثيون : (247 ق . م - 226 م)

الفرثيون نسبة إلى بلد فرثيه المسماة اليوم " خراسان " قوم يتصل نسبهم بالاييرانيين خضعوا لحكومات مختلفة ، كان آخرها الدولة السلوقية التي قامت في العراق ، فلما شعروا بالضعف دب في صفوف السلوقيين من جراء الحروب التي استمرت بينهم وبين الرومانيين مدة طويلة ، انقضوا عليهم واستولوا على مملكتهم، ولم يرق لهم اتخاذ مدينة سلوقية عاصمة لهم ولم تكن " بابل " المدمرة، شادوا مدينة ضخمة جديدة جغرافيا على الضفة اليسرى من دجلة مقابل سلوقية أسموها (طيسفون) المعروفة بالمدائن جنوب بغداد حاليا ، وحالف الدهر الفرثيين في بدء أمرهم كما حالف الأمم والدول التي سبقتهم، ولكن سرعان ما خانهم الدهر ، وأسقطهم الفرس بعدما دحروا (اردوان) آخر ملوك الفرثيين في واقعة هرمز في عام (226 م) فانتهى عهد الدولة الفرثية في العراق بعد أن عمرت (473) عاما وبقي العراق تحت نير الفرس الساسانيين حتى عام (636) للميلاد.

9- الساسانيين : (226 م - 636 م) .

ترك الفرثيون الملك للساسانيين فاجتازت البلاد في العهد الجديد خطوات واسعة في مجال الرقي والتقدم ، وازدهرت فيها أعمال الري ، وأقيم إيوان كسرى الذي لازال أثر منه

مأثلا للعيان في موقع طيسفون جنوب بغداد حاليا ، فأن الساسانيين كانوا في إبان قوتهم قد اقتطعوا من الدولة الرومانية مدينة إنطاكية فوقتت من أجلها بينهم وبين الرومانيين حروب دامية ، فلما تسلّم عرش القياصرة هرقل جمع فلول جيوشه وأغار على غرائمه وراح يطاردهم في عقر دارهم ، ولما اقترب من منطقة النهر وان عقد صلحا بينهما على أن تبقى الحدود على ما كانت عليه بين المملكتين من قبل.

وظهر إنذاك الدعوة الإسلامية العظمى، وجمع النبي العربي محمد (ص) العرب بعد أن كانوا متفرقين، ووحّد كلمتهم، ونفخ فيهم روح الإخاء والتوحيد، فوضع نواة الأمة العربية الكبرى . وكان كسرى قد تلقى - وهو في طيسفون - كتاب النبي محمد (ص) يدعوه فيه إلى الإسلام ، فأستخف بهذه الدعوة إذ لم يدر في خلدّه أن ينهض العرب من سباتهم وينفضوا عنهم رمال الذل والخمول ، فكتب إلى عامله في اليمن أن يسير لقتاله ، ولما خلعه الفرس وولوا ابنه عليهم ، كانت شؤون الساسانيين تختل إذ ذاك ، وملوكهم يتساقطون واحدا بعد واحد ، حتى صاروا يدركون خطورة الموقف ، ووقعت واقعة القادسية في عام (16هـ - 636م) فكانت هذه الواقعة التي اقتلعت جذور عرشهم من العراق .

وكل هذه الحضارات والدول والأقوام التي حكمت في العراق، فمنهم من سكن وتأقلم ومنهم من نزع أو اندثر، فقد بقى العراق بأرضه وشعبه محافظا على عروبته صامدا أمام مختلف التيارات لمختلف الأجناس واللغات ويعود الفضل الأكبر بهذا لهجرات القبائل العربية المستديمة.

10- الدولة العربية الإسلامية: (636 م - 1258 م)

والمتمضمّنة فترة حكم الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) - ودولة بني أمية ثم العباسيين من عام (636 م - 1258 م) بدأت حملة العرب المسلمين لتحرير العراق من السيطرة الساسانية على العراق عام (12 هـ أي 633م) في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) وعلى الرغم من الفتوحات الإسلامية الكبيرة والحروب لكن عم العراق الهدوء والعدل والتطور والانفتاح على العالم وفي عهد الدولة العباسية ، ثبتوا قواعد الدولة ، وعمروا المدن ونشروا العلوم والمعارف، والى نهاية هذا العهد يشار إليه " العهد الذهبي " ارتفع اسم العراق عاليا وأصبحت بغداد مهد الحضارة العربية الإسلامية لكبر الدولة العربية الإسلامية آنذاك ، وبغداد مركز الإشعاع الفكري بعلمائها وعلمها ، وبالأخص نذكر الذي هو

ضمن بحثنا الجغرافي، فقد أزهـر علم الجغرافية ازدهارا رائعا وشجع الخلفاء المستكشفين الجغرافيين من حيث بناء السفن والأجهزة التي يحتاجونها وإقامة المدارس الجغرافية، ويأتوها طلاب العلم من كل حذب وصوب من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية وأغدق الخلفاء كثيرا من الأموال على هذه المدارس وعلمائها وطلابها مما ظهر وبرز الكثير منهم في رسم الخرائط المحلية والعالمية ، الذي كانت تسمى بالصور ، لأن لفظة خارطة لم تكن معروفة عند العرب ، فكانوا يستعملون كلمة " صورة " للدلالة على الخارطة بمفهومها الحالي ، وفي أواخر القرن الثامن عشر وهي تعد نقطة تحول في النشاط الجغرافي ، والكارتوغرافي في العالم ، ولذلك برزت خرائط الإدريسي ، إذ انتقلت حركة الجغرافية والكارتوغرافية من المشرق العربي إلى المغرب العربي على ساحل البحر المتوسط ، ذلك ما جعل بعض الباحثين أن يطلقوا على فترة الانتقال هذه بـ " عصر الإدريسي " .

وقد نمت في عصر الدولة الإسلامية وعلى وجه الخصوص " عصر العباسيين " أعمال الإدريسي الجغرافية من اهتمام العلماء من مستشرقين ومستعربين وباحثين ما لم ينله أي جغرافي قبله ، فنشروا أثره وترجموها إلى لغاتهم ودرسوا جوانبها المتعددة - وسبق الإدريسي الخوارزمي صاحب المدرسة الثانية للجغرافية وفي هذا العهد برزوا الكثيرين مثل الجيهاني ، والبلخي ، والاسطخري ، وابن حوقل ، والمقدسي .

ولكن هذا لم يدم فاتوا المغول " التتار " بقيادة هولاكو سنة (1258) فاهلكوا الحرث والنسل ولم يسلم من تدميرهم أي شيء .

انتهت الدولة الإسلامية بعباسيها وجغرافيتها وعلمائها وآثارها وكتبها ، وحلت ببغداد المدينة العظيمة بكارثة وأعقبها ثلاثة قرون من الفوضى الدامية رزح فيه العراق تحت حكم قادة بدائيين وطغاة جبارين من أمثال تيمورلنك الذي أعاد مأساة هولاكو بأفضع منها ، كما تكونت في العراق دويلات وأمارات فارسية ومغولية بحسب شريعة الغاب .

وبينما كان العراق يحتضر في هذه الفترة المظلمة من تاريخه ، وإذا بدولتين فئيتين تظهران للوجود - الأولى في فارس وهي الدولة الصفوية ، والدولة الثانية في آسيا الصغرى وهي الدولة العثمانية ، وبدأ الصراع العنيف بينهما ميدانه أرض العراق وضحاياه من العراقيين .

11- الدولة الصفوية (الصفويون) : (1508 - 1534 م)

استولى الشاه سماعيل الصفوي على بغداد سنة 1508م وفتك بأهلها وأهان علماءها وخرّب مساجدها وجعلها اصطبلات لخيوله. وهدم ما كان فيها من قبور أئمة السنة، وذبح جماعة من علمائهم. فسرت شائعة في البلاد التركية بأن مذبحه عظيمة أصابت المسلمين السنة في بغداد على يد الصفويين، وكذلك عامل الشاه غير المسلمين معاملة أكثر صرامة، فبقيت بغداد بيد الصفويين حتى عام 1534م، ماعدا فترة قصيرة حيث اعاد الصفويون احتلالها من 1623 الى 1638. وجنوب العراق قد انضم الى الامبراطورية في منتصف القرن السادس عشر. غير أن ذلك لم ينته الصراع على العراق بين السلالات الحاكمة في إيران و العثمانيين حتى الحرب العالمية الأولى.

12- الدولة العثمانية (العثمانيون) : (1640 م - 1917 م)

استولى السلطان العثماني مراد الرابع على العراق سنة (1638 م) من يد الفرس، وقد وضع حدا فاصلا للسيطرة الفارسية في العراق، واحتل جميع أنحاء البلاد وتصالح مع الفرس عام (1640 م)، ويبدو أن الحكم العثماني للعراق مر بمرحلتين:

الأولى - الحكم غير المباشر الذي مارسه الولاة وتصرفوا فيه حسب رغباتهم. والثانية - حكم المماليك الذي انتهى بداود باشا آخر الولاة المماليك وكان اقرب إلى الانفصال عن الدولة العثمانية .

وقد برزت بعض الظواهر في خلال الحكم العثماني الذي أضعفت الدولة العثمانية ، ودفعتها إلى الورا للتحدي عن عرش الخلافة الإسلامية . فمنها محلية ، ومنها خارجية - فمن الظواهر المحلية هي :

أولا : قيام الحكومة العثمانية بالتشجيع على الطائفية بين المسلمين ، وجعلوا مجموعة تابعة للدولة الصفوية في بلاد فارس ، ومجموعة أخرى تابعة للدولة العثمانية ، وجعل عدااء دائم بين هؤلاء المجموعتين .

ثانيا : تقريب التركمان إلى وجعلهم عيون الولاة العثمانيين في البلاد ، واخذوا مكانا مرموقا في البلاد من خلال ولائهم للحكم الجديد .

ثالثا: كان الموظفون العثمانيون يتناولون مرتبات قليلة، وكانت المرتبات لا تدفع بصورة منتظمة، وقد نتج عن ذلك سوء التصرف وقبول الرشاوى، كما اضطر بعضهم إلى بيع رواتبه المتأخرة بأسعار زهيدة إلى السماسرة.

رابعاً: فقدان الثقة بين السلطان وكبار موظفيه ،وبخاصة الولاية . ولذا يلجا إلى نقل الولاية بعد فترة وجيزة من تعيينهم خوفا من استنثارهم بالحكم، وهذا مما أربك الإدارة، وعطل المشاريع إن وجدت مشاريع أضف إلى ذلك أن سياسة الدولة تعتمد على أثارة الحقد بين كبار موظفيها ليتسنى لها السيطرة أخيرا.

أما المظاهر الخارجية فهي:

أولاً: وجود العشائر والقبائل العربية العريقة التي ما عرفت الخضوع للأجنبي والمحتل مطلقاً.

ثانياً: بالنسبة للعراق، وموقعه البعيد من مركز الدولة العثمانية وصعوبة المواصلات ولد له الكثير من المشاكل، وأغرى الولاية بالانفصال.

ثالثاً : كان بعض الناس ينظرون بعين الريبة والقلق والشك للفتح الجديد، وكان ولأنهم للدولة الصفوية في بلاد فارس .

رابعاً: عدم وجود حدود واضحة المعالم بين العراق وبلاد فارس، ومشاركة القبائل الكردية الساكنة في هذه التخوم في أثارة الفتن عن طريق التجاء الأمراء الأكراد الهاريين من وجه الدولة العثمانية، والذين لم يعرفوا القوانين المدنية أو الهاريين بسب نزاعات عائلية إلى بلاد فارس .

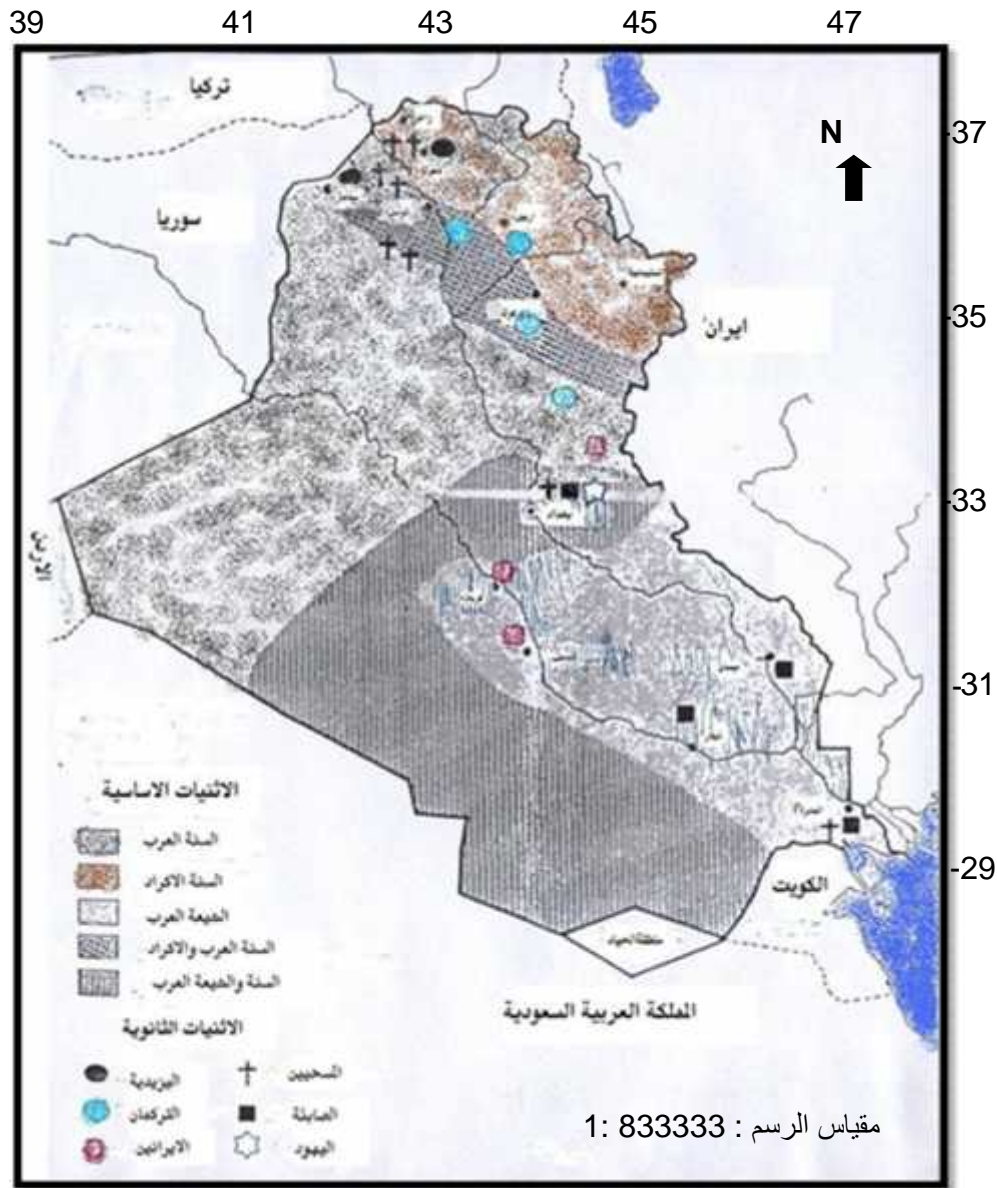
خامساً: أنهكت الدولة العثمانية بالحروب والفتن التي كانت تثيرها روسيا، وإمبراطورية النمسا والمجر ضدها، وقد وقف الأوربيون من الدولة العثمانية كدولة عدوة للمسيحية، وظهرت كوامن الحقد الصليبي منهم، وعملوا على إثارة الأقليات العرقية والدينية والطائفية فيها. (1)

المبحث الثاني: القوميات التي عاشت في العراق في عهد الحكم العربي الاسلامي:

أ- العرب العرب في العراق اليوم - كما في سائر الأقطار العربية - قسمان : البدو ، وهم الذين ينتقلون بإبلهم ومواشيهم من محل إلى آخر انتجاعا للكأ والمراعي ، وحضر ، وهم قسمان أيضا : قسم استوطنوا ضفاف الأنهر ، وهم الزراع ، وأكثرهم من العرب أو المستعربين ، وهؤلاء يحترفون التجارة والصناعة والزراعة والتوظف ، وحسب آخر الاحصائات السكانية أن العرب يمثلون حوالي (82 - 84 %) من سكان العراق ، ولهم الدور الأبرز من قبل اكثر من ستة آلاف سنة في بناء وتشكيل

ارض العراق ، وجل الأقليات الأخرى لم يظهر وجودها إلا بعد الفتوحات الإسلامية أو بعد احتلال المغول لبغداد عام (1258 م) في أواخر الخلافة العباسية ، عندما كان ابن الخليفة هارون الرشيد (رض) المستعصم بالله على رأس الدولة العباسية - وقام وزيره الأول ابن العلقمي بفتح أسوار بغداد للغزاة المغول وقتل العلماء وتحطيم أدوات العلم باتفاق مسبق مع الغزاة وكان فارسي الأصل.

خارطة رقم (1) : التنوع والتوزيع الاثني في العراق



.1982,

:

ب- الأكراد

يقطن كرد العراق مدنا وقرى ، موطنهم الأصلي شمال العراق المنطقة الجبلية الوعرة - وهي ثلاث محافظات دهوك ، اربيل ، والسليمانية ، وكذلك فيهم من نرح وسكن في العاصمة بغداد وبقية المحافظات والمدن العراقية ، ومنهم من انخرط في الوظائف الحكومية المختلفة ، وهم وباقي الأقليات يشكلون حوالي (16 - 17 %) من الشعب العراقي . وأن معظمهم حديثي الوجود على أرض العراق ، ومتداخلين الأصول مع كرد إيران وكرد تركيا ومثال على ذلك إن ملا مصطفى البرزاني وهو من قادة جمهورية (مها باد) في غرب إيران أبان الحرب العالمية الثانية ، ولما طرد من قبل شاه إيران ذهب هو وأتباعه إلى الاتحاد السوفيتي . والكثير من كرد العراق هم من أصول عربية سكنوا الشمال واستكردوا بحكم التزاوج والاختلاط والدين والوطن الواحد . مثل الطلبنانية، والزكنة، والبر زنجية، والكزكزانية، والعشائر السبعة..... الخ.

ج - التركمان

يقطن التركمان بشكل خاص منطقة تل أعفر (تلعفر) في محافظة نينوى ، ومنطقة التون كوبري في محافظة التأميم، وطوز خورماتو في محافظة صلاح الدين، وناحية مندلي في محافظة ديالى ، ويوجد هنالك نفر متفرقين في بقية مدن العراق، ولعب التركمان دورا رئيسيا في العهد العثماني، فقد أصبحوا عيونا للدولة العثمانية ، واستأثروا بالمناصب الكبيرة في الجيش والإدارة ، لم يبخل العثمانيون عليهم بشئ ففتحوا لهم المدارس ، ومنحهم الإقطاعات الزراعية الكبيرة ، وهم أتوا إلى أرض العراق حديثا، وفيهم عدد لا بأس فيه من أصول إيرانية وتركية ولا زالوا ولائهم لبلدانهم وأعرافهم الأم.

د - الفرس

يقطن الفرس مختلف بقاع العراق بدون قيد وشرط وعددهم قليل جدا ، ويفضلون السكن قرب المعابد والأماكن المقدسة في كل من سامراء، وبلد، وكربلاء ، والنجف، وبغداد.... الخ وكان للفرس في الدولة العباسية شأن كبير فقد امتزجوا مع العنصر العربي بلحمة وتعلموا اللغة العربية ، فكان منهم من فقهاء وعلماء اللغة والشعر والأطباء وبقية العلوم الأخرى حتى تركوا أثرا من لغتهم في عدد من الألفاظ العامة والتراكيب الشائعة بين عامة الناس ، واستغلوا العرب أحسن استغلال ودخلوا إلى قلوبهم عن طريق الدين وكلمة (لا إله إلا الله) وحديث

الرسول (ص) لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى . لتنفيذ أطماعهم القومية ومآربهم الشخصية.(3)

المبحث الثالث: الديانات المنتشرة على ارض العراق

1 - الاسلام: كانت جزيرة العرب أو شبه الجزيرة العرب في القرن السادس الميلادي محاطة بقوتين عظيمتين هما : القوة المسيحية الرومية في الغرب ، والقوة المجوسية الفارسية في الشرق ، وكان لكل من هاتين القوتين مصالح في والتوسع ، فكان رجال الدين فيهما يبذلون جهودا عظيمة لنشر الدعوة إلى العقيدة التي يؤمنون بها لهذا الغرض ، ولكن الجزيرة العربية كانت آمنة من انتشار المسيحية والمجوسية ، إلا في قليل من قبائلها . أما الأكثرية المطلقة من سكانها ، فكانت مطمئنة إلى وثنيها التي ولدت عليها ، وتبعت آباءها فيها ، فلما طلت سنة (571) للميلاد ولد بمكة المكرمة " محمد (ص) بن عبدا لله ، فكان مولده هذا للناس كافة ، وانصرف منذ نشأته إلى العبادة والتحنث حتى بلغت سنة (610) للميلاد ، فنزل الوحي عليه وهو يتحنث في غار حراء ، فكان نزوله نورا أشرق على الجزيرة الوثنية فأضاءها ، وجع العرب يتركون عبادة الأوثان والأصنام ، ويتجهون إلى الله الواحد الأحد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

وكانت الشريعة التي جاء بها فخر الكائنات محمد (ص) عظيمة سمحة " تربط بين التفكير المنطقي والشعور الذاتي، وبين قواعد العقل وهدى العلم، برباط لا مفر لأهلها من البحث عنها والاهتداء إليها ليظلوا مسلمين " ولهذا لقيت دعوته إليها من الهوى في النفوس والانتشار السريع ما لم تلقه الشرائع الأخرى، فأقبل العرب على الدخول فيها لتهديب أنفسهم وتطهير أفئدتهم، وتغذيت قلوبهم وعقولهم بالمبادئ السامية مبادئ الإباء والأنفة ، والإخوة والمحبة ، والبر والتقوى ، لان الإسلام يساوي بين المسلمين أمام الله ، لا فضل منهم لأحد على أحد إلا بالتقوى .

فلما اطمأن الرسول العظيم إلى انتشار دينه الكريم في الجزيرة ، وجه عليه الصلاة و السلام دعوته إلى أباطرة الروم ، وأكاسرة الفرس ، يدعوهم بالدخول في الإسلام ، فغاضة دعوته ابرويز كسرى الفرس في طيسفون في العراق ، وكتب إلى عامله في اليمن عام (628 م) يسير لقتاله ، ولكن الدعوة الإسلامية كانت أعظم مما ظنها الملك الفارسي بكثير ، والجيوش الإسلامية كانت تنساب من بلاد العرب انسياب السيل الجارف لتشييد دعائم عالم

جديد من الآخاء والتوحيد ، فلما توفى الرسول الكريم (ص) "في 28 صفر عام 11 للهجرة سنة 632 للميلاد الموافق 8 حزيران " وتولى الخلافة الإسلامية أبو بكر الصديق (رض) كتب إلى المثنى بن حارث الشيباني يقول : إن شؤون الفرس قد اضطربت ، وقواهم أخذت بالضعف ويسأله أن يمدّه بالمؤن ليزيد فيهم فتوحاته ، فبعث الخليفة قائدين من قادة المسلمين لتل عرش الفرس في العراق وهما - خالد بن الوليد وعياض بن غنم ، فكانت الحرب بينهما وبين الجيش الساساني سجالا .

فلما أفضت الخلافة إلى عمر بن الخطاب (رض) ندب سعد بن أبي وقاص ليتم العمل الذي بدأ به أبو الصديق ، فسار سعد إلى القادسية واشتبك مع جيش رستم الفارسي في حرب ضروس ، انتهت بفوز المسلمين واستيلائهم على المدائن " عام 16 للهجرة و636 للميلاد " ودكهم لعرش الساسانيين في العراق . وهكذا انتشرت الديانة الإسلامية في العراق منذ ذلك الحين وما زال سكان العراق البالغ عددهم أكثر من ستة وعشرون مليون نسمة يدينون بها مفتخرين مغتبطين ، وقد نص القانون الأساسي العراقي في مادته الثالثة عشر على أن (الإسلام دين الدولة الرسمي ، وحرية القيام بشعائره المألوفة في العراق لا تمس، وتضمن لجميع ساكني البلاد حرية الاعتقاد التامة، وحرية القيام بشعائر العبادة الخ) . أي أن الدستور جعل الإسلام دين الدولة الرسمي ، وقد ضمن حرية الاعتقاد للأقليات غير المسلمة وهي بمجموعها لا تتجاوز ثلاثة أرباع المليون نسمة. والمسلمون في العراق ونسبتهم في العراق (98%).

2- المسيحية: ينتشر المسيحيون في كل أنحاء العراق وبالأخص في الشمال ويتكلمون العربية عدا البعض منهم فيتكلمون الكلدانية ، ويحترفون الزراعة ، ولكل فرقة منهم قرى زراعية خاصة بها مثل : القوش وتلكيف وقرقوش وبرطلة وبحزاني ولكن بشكل عام المسيحيون في العراق قسمان :

الأول: المتوطنون من بقايا سكان العراق القدماء من الآراميين ، ومعظمهم كانوا من النساطرة أتباع الكنيسة النسطورية الكبرى المؤسسة في آسيا منذ أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي ، وكانوا يعرفون بأبناء الكنيسة الشرقية أو النساطرة ، لإتباعهم البدعة النسطورية ، وفي حوالي القرن الخامس عشر الميلادي نبذ أولئك النساطرة هذه البدعة الغربية وأعادوا أسمهم القديم اعني الكلدانيين .

الثاني: المهاجرون إلى العراق من جهات مختلفة ، ولا سيما من إيران وتركيا وهؤلاء هم

الأرمن والنساطرة الذين يزعمون أنهم من بقايا الآثوريين ، وقد اضطرتهم ظروف الحرب العالمية الأولى عام (1914 - 1918 م) إلى هجرة ديارهم والالتجاء إلى العراق ، ومنهم من طردتهم الحكومة التركية لتعاونهم مع الانجليز وهم فرقة من الاثوريين ، وانخرط بعض أبنائهم في صفوف القوات البريطانية في العراق . وقد يقطنوا في بغداد والبصرة والموصل وسائر المدن العراقية الأخرى ، ونسبة عالية منهم في الشمال في قضاء راوندوز في اربيل وفي زاخو والعمادية في دهوك . والمتوطنون منهم (سكان العراق القدامى) هادئون وادعون متفاهمون مع الأغلبية المسلمة ، مخلصون للحكم الوطني ، ميالون إلى الثقافة والتطور ، يشغل منهم مناصب كبيرة في بعض دواوين الدولة ، ويتعاط الباقون الزراعة والتجارة والصناعة ولبعضهم رغبة في العلم والفن . إما المهاجرون فمعظمهم مصدر قلق للشعب والحكومة على الدوام .

وينقسم المسيحيون في العراق بين طائفتين وهما:

الأولى : النساطرة واليعاقبة - فهم الذين لا يعترفون بسلطة البابا عليهم ، ويخضعون لطائفة أخرى ، ولسلطات دينية مختلفة ، وهم متمثلون - بالبروتستانت ، والأرمن الارثوذكس ، والروم الارثوذكس . أما سبب هذا الانقسام فيعود إلى اختلاف العقيدة في السيد المسيح ومريم العذراء . فالكاثوليك يعتقدون إن المسيح هو ابن الله حقا ، وانه ولد من مريم العذراء حقا ، متخذاً منها الطبيعة البشرية ، ومحتفظاً باللاهية في الوقت نفسه . وعليه فإن تحديد العقيدة الكاثوليكية بهذا الاتجاه " في المسيح طبيعتان، طبيعة إلهية ، وطبيعة إنسانية ، واقتنوم واحد - أي شخص واحد - وهو الاقنوم الإلهي " أما غير الكاثوليك فلا يقبلون بهذه العقيدة ، ولكنهم في الوقت نفسه يختلفون فيما بينهم فيما يختص بعقيدتهم في المسيح فبعضهم - كاليعاقبة - يعتقد على مثال ما يعتقد بيه الكاثوليك بأن مريم العذراء هي أم الله وبعضهم - كالنساطرة ينكرون ذلك ، وهي نتيجة لما يعتقد الفريقان عن المسيح . فالنساطرة يقولون إن في المسيح طبيعتين وأقنومين ، أي هناك مسيحيان . مسيحا إنسانيا بطبيعته الإنسانية واقتنومه الإنساني - وهو الذي عاش على الأرض وصلب ومات - ومسيحا إلهيا بطبيعته الإلهية واقتنومه الإلهي - وهو الذي لم يمت ولن يموت - أما اليعاقبة فإنهم يعتقدون بأن في المسيح اقنوم واحد وطبيعة واحدة تضم الطبيعتين معا - الإلهية والبشرية .

والثانية : الكاثوليك – هم الذين يؤمنون بتعاليم الكنيسة الرومانية ، ويعترفون بكون البابا خليفة مار بطرس (رئيس الحواريين) ومقره روما عاصمة ايطاليا ، ويشمل هذا اللقب الكلدان ، والسريان ، واللاتين ، والأرمن الكاثوليك ، والروم الكاثوليك .

2- اليهودية:سكن اليهود العراق منذ أزمان قديمة جدا، في عام (604 ق.م) عندما اعتلى عرش (بابل) في العراق ملك الكلدانيين (نبوخذنصر) تحالف (بوياقيم يواش) ملك اليهود في مدينة (أورشليم) في جملة من حالفهم من ملوك الأقاليم وأمراء الجهات ثم حدث بينهما ما اوجب الانفصال ، وذلك أن ملك اليهود خان العهد وخالف ما اتفقا عليه ، لذلك جهز عليه (نبوخذنصر) جيش ثل عرشه ، وأسر جنده ، وسبي نساءه وقبانه ، وأشرف مملكته ، ونفاهم إلى (بابل) ثم عهد بعرش أورشليم إلى (صدقيا) ابن (بوياقيم) سنة (597 ق.م) بعد أن تحالف معه ضد " بساماتيك الثاني فرعون مصر".

وشاء الملك الجديد أن ينقض عهده أيضا مع (نبوخذنصر) ، بتأثير الحزب الموالي لمصر في أورشليم فجهز عليه الملك الكلداني جيش آخر وعاد أورشليم إلى نصابها وعاقبها على نقضها العهد بسبي جميع سكانها ونقلهم إلى (بابل) سنة (586 ق.م) فتفرق اليهود تحت كل كوكب ببلاد (بابل) وآشور ، وبلاد ماذي وغيرها حتى ضربت الأمثال بتفرقتهم ، فلم يسع عقلاء اليهود إلا أن اتخذوا (بابل) وطنا لهم فبنوا بيوتا لسكانهم وانصرفوا إلى الكسب والعمل بنشاط .

فلما مات (نبوخذنصر) سنة (561ق.م) أخذ الوهن يتسرب إلى مملكته ، حتى سنة (539 ق.م) قرضها (كورش الفارسي) وأذن لليهود بالعودة إلى قدس أسرارهم ومحط أنظارهم (أورشليم) فعاد القليل منهم، وبقي من ألف الحياة البابلية، فكان يتقلب بين السعد والشقاء، والراحة والقلق. ولا ريب أن القسم الأعظم من الأقلية اليهودية في العراق اليوم إن هي إلا بقايا السبي البابلي. وكان هؤلاء يحترفون الزراعة والصناعة، فتحولوا عن الأولى إلى التجارة وصياغة الذهب والصيرفة وبيع الخمر ، وهم يتجشمون في سبيل التجارة أخطار السفر ويركبون من أجلها الأهوال . لا يحول دون الكسب والارتزاق لديهم أي حائل. أما بيع الخمر فتعاطيهم إياه منذ القرن السابع للهجرة (الثلث عشر للميلاد). ويقطن اليهود بغداد وضواحيها ويليها البصرة ومنهم من ينتشرون في جميع أنحاء البلاد حتى في القرى، وتدير شؤون اليهود الخاصة مجالس روحانية وجسمانية موزعة بموجب قانون وضع لهذا الغرض

على ثلاثة مناطق وهي : بغداد والبصرة والموصل . وهناك مجلس أعلى روحاني في بغداد يتولى إعداد الروحانيين ويشرف على المقررات الدينية. أما المجالس الجسمانية في المناطق الثلاث المذكورة فتتولى إدارة المؤسسات والمدارس والتركات والمسقفات الموقوفة لأغراض خيرية وتجبي ضرائب على الحوم تسمى (الغابيلة) فتتفقا على شؤون الطائفة ، وهذه الضريبة قديمة العهد إذ ذكرها ابن الأثير في حوادث سنة (421) للهجرة .

وقد ضمن الدستور الأساسي العراقي مساهمة يهود العراق في الحكم الوطني ، كما ضمنها لبقية الطوائف ، فلم يعضو في مجلس الأعيان وأربعة أعضاء في مجلس النواب وعدد كبير من الموظفين في مختلف دوائر الدولة ، ولهم نشاط في نواحي الثقافة والعلم والأدب مشهور ، وقد برز فيهم في الآونة الأخيرة كتاب وشعراء وصحفيون وأطباء ... الخ.

4-اليزيدية: وهم يقطنون شمال غرب العراق ، ومراكز تجمعهم في قضاء الشيخان

وسنجان في محافظة نينوى ، ويوجد البعض منهم في منطقة ديار بكر في تركيا ، وحلب في سوريا وفي أرمينيا ، وقد اختلف المؤرخون في أصلهم ، فهم يطلبون رضاء الشيطان في أعمالهم ، ولهم شعائر دينية غريبة وعادات لم تألفها بقيت الطوائف - فقسم من المؤرخين يقول أنهم ينتسبون إلى يزيد بن أنيسة الخارجي ، وأرجعهم فريق إلى أصل آري ، ورأي أن كلمة (يزيديية) مشتقة من الكلمة الفارسية أو الكردية (يزدان) أي (الله) وزعم فريق ثالث أنهم من أتباع يزيد بن معاوية الأموي، وهكذا دواليك. وروية عن اليزيدية أنهم جماعة من كانت تدعى "العدوية" عند ظهور مبدعها (الشيخ عدي بن مسافر - وكان من آراء هذا الشيخ المتصوف صلاح يزيد بن معاوية واعتقاده بصحة خلافته) ومن هذا الاعتقاد المجرد نشأ إيمان أتباعه العدويين به ، غير أنهم خرجوا به إلى الغلو حتى اعتقدوا فيه الإلهية واستغرقوا في الضلال والأوهام .

يعتقد اليزيديون الآن بوجود الهين : اله الخير ، واله الشر ، ويرمزون إلى الأول بالله تعالى ، وإلى الثاني بالشيطان الرجيم " ويسمونه طاووس ملك " فيقولون : - إن الله لا حد لصلاحه وجوده ومحبته للخلائق لا يفعل بهم شراً لأنه صالح . أما الشيطان فهو منقاد طبعاً إلى عمل الشر ، لأنه مصدر الشر ومبدأه وعليه، فالفتنة تقضي على من يريد سعادة الحياة أن يهمل عبادة الله الصالح بطبيعته، ويطلب ولاء الشيطان وحمائته تخلصاً من أذاه.

ولهم كتابان مقدسان يسمى احدهم (الجلوة) والآخر (مصحف رش) وفي كليهما من

الاضطرابات والغموض كما فيهم رؤساء دين يتميزون بمراتب خاصة وامتيازات روحية لا تدرج فيها . أما صلواتهم فهي عبارة عن أذكار وأوراد خاصة يتلونها في أوقات خاصة. وأما صيامهم فهو انقطاع عن الأكل والشراب ثلاثة أيام فقط. لأنهم يزعمون أن حكم الصيام الذي جاء فيه القرآن نزل باللغة الكردية فترجم خطأ ثلاثين يوماً، ولهم حج مخصوص لمرقد الشيخ عدي بن مسافر الأموي في مواسم مخصوصة من السنة.

ومن أهم عاداتهم وأغربها أنهم يحرمون أكل الخس والهانة ، كما أنهم يحرمون على

أولادهم تعلم القراءة والكتابة ما عدى أولاد الرؤساء الروحانيين من سلالة الشيخ حسن، ولا يدخلون الحمامات ولا دورة المياه معتقدين إنها من ملاجئ الشيطان – في نظر المسلمين – ولا يستخدمون الخيل في حمل الأثقال أما ركوبها فجائز عندهم.... الخ. ورجال الدين عندهم مراتب ، فهناك الرئيس الروحاني الأعلى ويسمونه " بابه شيخ " ويتأسس هيئة مكونة من ستة أعضاء يكون هو سابعهم وتسمى هذه الهيئة " هه موزان " العالمين بالأمور الدينية من حق هذه الهيئة تشريع القوانين الدينية وإنزال العقاب بمرتكبي الجرائم الأخلاقية والدينية وتجريمهم والغفران لهم ، وهناك أيضا هيئة أخرى (البر – والكوجك والقوال والفقير) ولهم رئيس آخر اجتمعت فيه سلطتان الدين والدنيا معا ويسمونه (ميرري ميراز أمير الأمراء) وله سلطة مطلقة على جميع اليزيدية وينفذوا الأوامر الصادرة من " هه موزان " ويتلقى أوامره أمراء ثانويون يخضعون له وينفذون أوامره ، وهذه الرتب وراثية ومركزها في قرية باعذري " باعذرا " في قضاء الشيخان .

3- الصابئة: جاء في سورة البقرة في القرآن الكريم قوله تعالى " إن الذين آمنوا والذين

هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر"صدق الله العظيم. يكثر الصابئة في مدينة العمارة خاصة وينتشر الآخرون بمدن العراق المختلفة يحترفون صياغة الذهب والفضة وتطعيمها ، وقد ذاع صيتهم في مختلف أرجاء المعمورة ، ويحترف بعضهم صناع المشاحيف (القوارب) – قوارب لصيد الأسماك – في محافظة ذي قار قضاء سوق الشيوخ.... الخ

الصابئة قوم من أتباع الديانات القديمة وهم يكتمون ديانتهم كل الكتمان وقد لا يعرف الصابئي شئ من أسرار دينه ولا يتقن لغة أجداده أو يحسن قرائنها وكتابتها ، لان هذه الأسرار محفوظة في صور المؤمنين وهم قلة قليلة لا ترى البوح بها لأحد خشية أن يفلت

الأمر من يدها أن لا ينكشف أمرها للخاص والعام . وظاهر الأدلة التحقيقية المتوفرة يدل على أن الصابئة الذين ذكروا في القرآن قد انقرضوا وعفت أخبارهم ، فأصبح من الصعب الإلمام بتاريخ صحيح عنهم ، أو أخبار لا يشوبها الاضطراب .

وذكر ابن النديم أن الحرانيين انتحلوا ديانة الصابئة عام (218) للهجرة

(833م) ليتحاموا اضطهاد المأمون العباسي لهم ، فخيرهم بين الدخول في الإسلام أو ذكر

دين لهم ورد ذكره في القرآن . فقد كتب إلينا عنهم المستشرق الألماني المعروف الدكتور

(هـ. ريتير H. Ritter) يقول: (أما الصابئة فالمنشور عندنا أن لا مناسبة أصلا بين صابئة

العراق وصابئة حران على الرغم من اشتراك الطائفتين بالاسم. ومعلوم أن هذا الاسم أتخذه

أصحاب الأديان الغير ذمية من القرآن ليتحاموا به عن التعقيبات الدينية ، فصابئة دجلة هم

طائفة من اليهود تبرئوا من اليهود ، وتبعوا يوحنا المعمدان ، ثم لما رأوا أن أتباع عيسى غلبوا

على أتباع المعمدان هاجروا من الأردن إلى نهر آخر يجري من الشمال إلى الجنوب وهو

دجلة)، ومن طقوسهم في الزواج التعميد في الماء الجاري سواء كان الوقت صيفا أو شتاء.

ومن طقوسهم تغسيل المحتضر وتكفينه قبل زهوق الروح عن جسده ، وضرورة اغتسال

الصابئي في الماء الجاري للتطهر من الجنابة وغيرها. اخذ عدد الصابئة بالتناقص التدريجي

بسبب صرامة طقوسهم وتشددهم للمحافظة على نقاوة الدم ، وبخاصة حالات الزواج لئلا

يختلط الدم ويضيع النسب ، فلا يجوز للصابئية أن تتزوج إلا صابئيا ومن خرج عن هذا

اعتبر مارقا.(4)

Abstract

So came this research answer to several questions raised about the reality of ethnic groups in Iraq and much of the ancient and modern world , show that Iraq differs from other Arab countries and some countries of the world Baloqqum and ethnic and religious communities and religious and the large number of minorities in it and diversity , and in Iraq shows a fusion and interdependence of the elements of historical and geographical clearly in the north " in a small area does not exceed a few thousand square miles collection God

mixture of races and sects may not find anything like it in any other part of the globe.

نتائج البحث:

ولهذا التنوع أثر على تماسك المجتمع العراقي، واستنتجا لما سبق يلاحظ أن العراق اليوم يمر بنفس الظروف والأوضاع التي مرّ بها قبل سبعة قرن ونصف تقريبا. وان التاريخ يعيد نفسه، وان الأطماع الأجنبية لا تختلف عن بعض، وبغض النظر عن الموقع الجغرافي الذي تقع فيه، سواء كان شرق الكرة الأرضية أو غربها، سواء كان وثنيا أو صليبيا أو مسلما بالادعاء ، سواء كان صاحب حضارة أو صاحب مدنية أو تتارا همجيا .

لذا نلاحظ أن الصراع اليوم على أرض العراق هو جامع للعديد من الأسباب، ويمكن أن نحددها بما يلي:

- من الناحية الجغرافية ... الموقع الجغرافي الممتاز بالنسبة للبحر واليابس ، والمكان الاستراتيجي المتوسط الموصل للقارات الثلاث أي العالم القديم (قلب العالم) فمن سيطر على القلب سيطر على العالم كله.
- من الناحية الاقتصادية والسلع الإستراتيجية وتحديد النفط والغاز الطبيعي والماء، والثروة البشرية الخام. علما أن ما موجود من نفط وغاز في العراق والخليج هو حوالي (40%) من الاقتصاد العالمي .
- من ناحية خطوط المواصلات والاتصالات ، وخاصة مضيق البوسفور ، وقناة السويس، وباب المندب، ومضيق هرمز في الخليج العربي ودورهم كنقاط وصل لكل أنحاء العالم ، وبالأخص شرق وجنوب شرق آسيا ذو الكثافة السكانية العالية.
- من ناحية حماية الكيان الصهيوني الذي أصبح متهرئ ومنخور من الداخل ، وإدامة الأنظمة العربية المعتدلة اتجاه الغرب ، والعميلة اتجاه الأمة العربية ، وتقوية الكيان العنصري الطائفي القديم ليحل محل الكيان الصهيوني إذا ما انهار وسقط ، وإحياء دور بعض دولة الجوار لشق صف العرب والمسلمين .

- للقضاء على البعد الاجتماعي المتمثل بالتكافل الاجتماعي داخل الرقعة الجغرافية العراقية والذي اشتد وقوى أثناء الحصار الظالم القاتل وكسر طغيان الصهاينة والغرب، واتساعه بالدعم الا محدود إلى كل المجتمع العربي، وبالأخص في فلسطين والشرائح المحتاجة في الدول الإسلامية.
- للقضاء على البعد الحضاري والمدني والمتمثل بأول حضارة على الأرض ومهد الحضارات الإنسانية ، والمدنية وشرعة أولى القوانين والشرائع في الأرض لخدمة الإنسان والإنسانية ، والتي أضاعت بنورها للبشرية شرقا ومهبط العقائد السماوية السمحاء.
- للقضاء على البعد العلمي ، والمتمثل بالتطور السريع لكافة العلوم في العراق وفي كل المجالات ، حيث هناك برنامج وطني بدأ من حيث انتهى الآخرون وأقصد البلدان الغربية
- للقضاء على البعد الثقافي ، والمتمثل بثورة ثقافية في جميع المجالات وبالأخص القضاء على الأمية والجهل ، والدعم الامحدود للعلم والعلماء وبميزانية مفتوحة ، والمتمثل بمجانية التعليم من رياض الأطفال إلى الدكتوراه والحلقات العلمية الأخرى.

المصادر:

- 1 King, L., History of summer and Akkad. (1915)
- 2 الدكتور - احمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين. (بغداد 1974).
- 3 Dickson , H., The Arab of the Desert. London (1954)
- 4 الدكتور - عبدا لرزاق الحسني، العراق في الماضي والحاضر, بغداد (1973).